

المسيح والتشليح

تأليف العلامة الدكتور

محمد وصفي

تقديم
الكاتب الإسلامي الكبير
محمد عبد الله الشمان

مراجعة

عيسى الجوهري

دار الفخيلة

دار الفؤيلة

للنشر والتوزيع والتصدير

الإدارة: القاهرة - ٢٣ شارع محمد يوسف القاضي - كلية البنات
مصر الجديدة ت وفاكس ٤١٨٩٦٦٥ رقم بريدي ١١٣٤١ هليوبوليس
المكتبة: ٧ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة ت ٣٩٠٩٢٣١
الإمارات: دبي - ديرة . ص ب ١٥٧٦٥ ت ٢٦٩٤٩٦٨ فاكس ٢٦٢١٢٧٦

جميع الحقوق محفوظة للنَّاشِرِ

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَقْلُوبُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا
عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ
اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ
وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ
الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ
يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿

(سورة النساء : ١٧١ - ١٧٢)

تقديم الكتاب

• عرفت المؤلف الدكتور محمد وصفى في الخمسينيات ، مشتغلاً بالفكر الإسلامى ، غيوراً على دينه ، كلما هبت ريح عاصفٍ عليه تستهدف النيل منه بإثارة الشبهات حوله ، عرّفنى به صديق العمر الدكتور أحمد الشرباصى ، وكان يجمعنا أسبوعياً للقاء بالرابطة الإسلامية بباب اللوق ، والتي أسسها الأستاذ محمد شاهين حمزة ، وكان عضواً عاملاً بالحزب السعدى ، وكانت الجمعية ملتقى العديد من العلماء والمفكرين .

ونحن خلف الأسوار بمزرعة طرة (١٩٦٥ - ١٩٧١م) فوجئت بالدكتور محمد وصفى أحد الذين اختارتهم وزارة الداخلية لإلقاء محاضرات للتوعية ، ومنهم - كذلك - الدكتور عبدالعزيز كامل ، والدكتور محمد سعاد جلال الأستاذ بكلية الشريعة - جامعة الأزهر ، وكان الدكتور وصفى يحاضر بأسلوب السهل الممتنع فى أدب كأستاذ محاور ، مراعيًا أن التعليمات التى صدرت تفرض علينا - نحن الأسرى - أن نصغى لما يقوله المحاضر وليس لنا الحق فى محاورته ، ومن هنا كان - رحمه الله - حريصاً كل الحرص على أن لا يجرح أحاسيسنا أو يمس مشاعرنا .

• المسيح والتثليث . . موضوع الدراسة الموضوعية التى حفلت بالتأنى . . إنها قضية ليست ككل القضايا ، حسم أمرها كتاب الله - عز وجل - الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . . قضية محسومة بالنسبة لنا نحن المسلمين ، ولكنها غير محسومة بالنسبة لغير المسلمين ، ومن هنا كان الحوار والجدال فيها أمراً مقضياً ، وهذا مقتضى قوله تعالى فى سورة العنكبوت : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت : ٤٦] ، والهدف هو تأكيد الحق الذى سجله كتاب الله .

وكنا نود أن تتسع صدور أطراف القضية ويدركوا أن الخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية ، ولا سيما أن الإسلام حريص على أن يظل الود قائماً

بين المسلمين والمسيحيين ؛ لأنهم أقرب إلينا مودة ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ
عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ ﴾ [المائدة : ٨٢] .

وقد ورد في الصحيح أن رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - قد
وصى أصحابه بأقباط مصر خيراً عند فتح مصر : « . . . فإن لهم نسباً
وصهراً » - النسب لأن هاجر أم إسماعيل عليه السلام مصرية ، والمصاهرة زواجه
صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية وهي مصرية أيضاً ، وهذا ما لم يعه
النصارى بالأمس ، ولا يعيه النصارى اليوم .

لقد طعن اليهود في شرف مريم البتول ودبروا مؤامرة لإنهاء حياة المسيح
عليه السلام ، بينما كتاب الله تعالى يقول : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ
أَصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِيْنَ ﴾ [آل عمران : ٤٢] .

وبرغم ذلك نرى أن الغرب المسيحي احتضن بنى إسرائيل ، وأقام لهم
دولة من سفاح على أرض مغتصبة ، وسويسرا المسيحية استضافت أول مؤتمر
صهيوني عالمي بريادة تيودور هرتزل في (٢٩ / ٨ / ١٨٩٧ م) حيث اتخذ
فيه قرار بإقامة دولة إسرائيل في فلسطين ، وفي الثاني من نوفمبر عام ١٩١٧ م
صدر وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا المسيحية ، فكان بمنزلة شهادة ميلاد
مزورة لدويلة ولدت من سفاح ، ونسى الشعب البريطانى أن ملكهم إدوارد
الأول أصدر قراراً في (٣١ / ٨ / ١٢٩٠ م) بطرد اليهود من المملكة بعد أن
استشرى فسادهم ، وفي عام ١٩٤٨ م أصدر بابا الفاتيكان نداء ناشد العالم فيه
أن ينقذ اليهود في فلسطين من العرب الوحوش !!

• هذه كلمات كان لابد منها ، قبل أن نعرض لهذه الدراسة التى بين
أيدينا ، كما لابد أن نمهد لها بأن نقول :

أولاً : إن موضوع الدراسة ، ليس بجديد ، والمكتبة العربية حافلة
بالعديد من المؤلفات التى ألفها السلف والخلف من العلماء والمفكرين ، وهذا
ما جعل مهمة المؤلف مضمّنة وشاقة للغاية ، وبخاصة إذا تحاشى التكرار ، والتزم
الموضوعية المتأنية فيما يقدم .

ثانياً : في مثل هذه المسألة الجدلية لا يصلح للكاتب أن يستدل بما يؤمن به هو فقط - بل يجب أن يعتبر المعول عليه ، ما يعتقده خصمه ، وهذا ما فعله المؤلف - رحمه الله - لقد اعتمد على ما في الأناجيل الأربعة من تناقضات تؤكد استحالة أن تكون هي التي أنزلت على عيسى عليه السلام ، ولذا كانت السطور الأخيرة من المقدمة تقول : « وقد كان غرضنا من تأليف هذا الكتاب : تنزيه الله تعالى - واجد الوجود - عن كل نقص ، وإثبات حقيقة المسيح عليه السلام التي أتى بها القرآن ، وذلك من عين كتبهم ، ومن نفس شهادات المسيح ابن مريم عليهما السلام فيها » .

وقد ذكر المؤلف - قبل ذلك - أن المسيحيين غالوا في تقدير المسيح عليه السلام ، والغلو كثيراً ما يدعو إلى الحيد عن الصواب . . جعلوه إلهاً ، ولكي يعللوا ذلك جاءوا بالتثليث الذي لا تقره كتبهم ، والذي تنفيه الأقوال المنسوبة إلى ابن مريم فيها ، وكان من جراء ذلك : أن نسبوا إلى المسيح عليه السلام ما ليس فيه ، وألحقوا بالله ما لا يليق به من الصفات .

• وهذه الدراسة تقع في أكثر من مائتي صفحة من القطع الكبير ، متضمنة مباحث خمسة ، عرض في المبحث الأول للمسيح في العهد الجديد : الإنجيل ، كما يطلق على التوراة ، العهد القديم ، قدم له بإضافة ثقافية ، معرفية يجهلها الكثيرون منّا ، أشار إلى أن كتب العهد الجديد سبعة وعشرون سفرًا ، مقسمة إلى أجزاء ثلاثة :

(أ) أربعة كتب أو مؤلفات ، يطلق على كل منها لفظ (إنجيل) وهذه الأناجيل الأربعة هي أنجيل : متى ، مرقس ، لوقا ، يوحنا .

(ب) رسائل ومكتوبات عامة ، تسمى الأولى منها : أعمال الرسل ، والثانية رسالة بولس إلى أهل رومية ، وبلغ عدد الرسائل ٢٢ رسالة ، وهذه الرسائل مقدسة عند الأرثوذكس والكاثوليك ، ولكن البروتستانت ينكرون بعضها ، ولهم في ذلك حجج وبراهين .

(ج) رؤيا منامية رآها يوحنا ، وتسمى في العهد الجديد : « رؤيا يوحنا اللاهوتي » ، وهذه الرؤيا ينكرها البروتستانت - كذلك - مما جعلهم أمام المؤمنين بها محرومين من دخول الجنة ، خارجين عن المسيحية .

وعرض المؤلف لإنجيل برنابا الذي ينكره البوليسيون - نسبة إلى بولس الرسول - بينما أثبتته العلماء قبل الإسلام بنحو ثلثمائة عام ، وقد قال العلامة (تولاند) الإنجليزى عند قراءته : « إن عهد النصرانية قد انقضى ؛ لأن هذا الإنجيل قد كشف زيف غيره من الأناجيل » .

هذا وقد عرض المؤلف في المباحث الأربعة الباقية : لدعوى ألوهية المسيح عليه السلام ، وللتثليث ، ولعقيدتى الفداء والصلب ، ثم للمسيح عليه السلام في القرآن الكريم ، ولندع القارئ يستمتع بمحتويات هذه المباحث ، وحسبنا أن يكون لنا بعض الوقفات السريعة ، كى نلفت الأنظار إليها .

أولاً : يشير المؤلف إلى أن اسم (إنجيل) لا يصح مطلقاً أن يسمى به غير إنجيل المسيح نفسه - أى الإنجيل الذى أنزل عليه من ربه وأشير إليه في القرآن الكريم - وإلا فهل أنزل على كل من المبشرين إنجيل كذلك؟!!

إن إنجيل المسيح عليه السلام ربما كان هو الذى أشار إليه مرقس (١ : ١٤) ، (١٥) فى قوله : « وبعد ما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرر بشارة ملكوت الله ويقول : قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله .. فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » ، ويتساءل المؤلف : فأين هذا الإنجيل المشار إليه ؟ فلئن قلنا : إن المواعظ الأربع لمتى ومرقص ولوقا ويوحنا تمثل كلها الإنجيل متماسكة غير منفصلة ، فما بال هذا التناقض الغريب فيما بينها ؟ فإن شخصاً واحداً لا يمكن أن يروى قولاً واحداً ، أو يبين حالة واحدة ، أو يحكى قصة واحدة بمثل ذلك التناقض ، بل إن الشخص الواحد لا يصح أن تختلف عنه الروايات ، مهما تعددت حكاياتها ، واختلفت أساليب بيانها ، ومن هنا حق لنا أن نقول : هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] صدق الله العظيم .

ثانياً : عرض المؤلف لفرية ألوهية المسيح عليه السلام ، فأشار إلى أن الدلائل العقلية والنقلية ، تنطق بعدم إمكان الألوهية البشرية ، وبالنسبة للدليل العقلى ، فنحن إذا قرأنا الأناجيل ما وجدناه إلا بشراً عادياً يأكل ويشرب وينام ويستيقظ ويمشى فى الأسواق ، وإذا ادعى أحد أن ذلك من جهة ناسوته ، قلنا له : إن الإحساسات المتباينة ، والانفعالات النفسية المختلفة ، لا يشعر بها الجسد المجرد

من الروح ، بل إن الروح البشرية التي كان يضمها جسد المسيح عليه السلام هي التي كانت تشعر بالرغبة في متطلبات الحياة من مأكّل ومشرب وغيرهما ، أمّا بالنسبة للأدلة النقلية ، فقد عول على الأناجيل ، وما احتوته من تناقضات ، وقد أكسب الدراسة لونا من الأهمية والتقدير معاً .

ثالثاً : عرض المؤلف لعقيدة التثليث : الأب والابن والروح القدس ، مؤكداً أن هذه العقيدة تثبت منافاتها للعقل ، وتظهر لماذا لم يذكر الأنبياء السابقون والرسل الأولون عنها شيئاً ، كما أشار المؤلف إلى أنه ليس للمسيحيين من دليل على التثليث ، يستطيعون أن يظهروه مطلقاً ، فقد فرض عليهم بواسطة مجمع نيقية العام سنة ٣٢٥ ميلادية ، ومعنى هذا أن المسيحيين لبثوا أكثر من ثلاثة قرون ، وليس لديهم كتاب يسرون عليه أو نظام ديني يتبعونه .

رابعاً : عرض المؤلف لعقيدتي الفداء والصلب ، وأشار إلى أن عقيدة الفداء هي من وضع رجال الدين المسيحي ، كتبهم تثبت أن الأبناء لا يؤخذون بجرائم الآباء ، حسبنا ما جاء في (حزقيال ١٨ : ٢) : « الابن لا يحمل من إثم الأب ، والأب لا يحمل من إثم الابن ، بر البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون » ، وبالنسبة لعقيدة الصلب ، فإن التناقض الكبير بين روايات الأناجيل الموجودة اليوم بين أيديهم تدحضها وتأتى عليها .

• ثم ماذا ؟

إن الأستاذ فكرى أباطة - رحمه الله - كتب في مجلة المصور منذ أكثر من أربعين عاماً ، كتب يقول : إن بابا الفاتيكان ، جمع لفيقاً من كبار رجال الكنيسة وبعض علماء اللاهوت ، وطلب منهم الاجتماع معاً في دراسة متأنية للوصول إلى حقيقة القرآن : أهو من عند الله أم من وضع محمد ؟ ، وكانت نتيجة الدراسة تؤكد أن القرآن لا يمكن أن يكون إلا من عند الله .

وأضاف الكاتب : لقد علم هذا الحدث من مصدر موثوق به أثناء وجوده في إيطاليا ، ولو قدر له أن ينشر لكان خبر هذا العام .

وكتبت مقالاً بمجلة « الأزهر » حول ما كتبه فكرى أباطة ، وقلت : إن فكرة التقارب بين الإسلام والمسيحية لن تكون منتجة أبداً ما لم يحدث تبادل

الاعتراف بين الطرفين ، فالإسلام يعترف بالمسيحية ويرفع من شأن رسولها وأمه ، وبقي على أهل المسيح الاعتراف بالإسلام : رسولا ورسالة معا . . وفوجئت بعد أيام بكاهن لبناني يطرق باب مسكني ، ولما لم يجدني ترك لي مجلة « المسرة » وفيها نقد صارخ لمقالى بالأزهر .

ومعذرة للقارئ ، لقد ذكرت هذه القصة لأؤكد أن صدورنا لا تضيق بما ينشره كتاب مسيحيون من تطاولات على الإسلام ، بينما نرى المسيحيين لا يعترفون بأهمية الحوار الحر ، ولا بأن الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية ، ويؤسفني أن البعض يضيق صدره بالنقد الموضوعي ، ويعمد إلى أسلوب مثير للسخرية .

وهذه قصة سمعتها بأذني من العلامة الشيخ (محمد أبو زهرة) منذ نصف قرن ، عندما ظهر مؤلفه « الإسلام والنصرانية » والمطبوع في دار الكتاب العربي لصاحبها الأستاذ محمد حلمي المنياوي ، والحديث جرى بمكتبه ، طلبت مكتبة مسيحية بالفجالة شراء كمية كبيرة من الكتاب ، وبعد يوم واحد أرسلوا إلى المكتبة رسولا يطلب شراء نسخة من الكتاب فقبل له : نأسف الكمية نفذت . . والمعنى هنا ليس في بطن الشاعر !!

إن من يقرأ الكتاب في تأن يدرك الجهد المضني الذي بذله المؤلف ، وحرص على أن تكون دراسته متأنية وموضوعية ، مجردة من الهوى والإنشاء والانفعال ، ويثبت أن مهنته كطبيب لم تحل دون أن يكون مفكرا إسلاميا خصب الفكر .

ورحم الله العقاد الذي يقول : « العلم هو القراءة ، وإن بعض الكتاب يكتبون أكثر مما يقرأون » .

ومن الوفاء لدار الفضيلة بالقاهرة أن نحييها لحسن اختيارها ، وهذا راجع إلى ثقافة صاحبها ، وحرصه على أن لا يقدم للقارئ إلا كل علم نافع . . جزاه الله خيرا . . والحمد لله رب العالمين .

محمد عبد الله الشمان

القاهرة : ص . ب : ١٦٢١

تليفون : ٥٦٨٣٥٦٤

المحمول : ٠١٠٥١١٨٠٨٦

مُقَدِّمَةٌ الْمُؤَلِّفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَدِّلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ
عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١)

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا
الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ
إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢)

يختلف العالم في بيان حال المسيح عليه السلام ، وتتفاوت اعتقاداتهم في تحديد شخصيته ، وتباين آراؤهم في إدراك ذاته ، فاليهود هم أشد الناس مقتًا له ، وأكثرهم عداً لتعاليمه ، وأسرعهم إلى تكذيبه واتهامه ، فقد أنكروا رسالته ، وطعنوا في نسبه ، وحاربوه ، وطلبوا التمثيل به والانتقام منه .

والمسيحيون غالوا في تقدير المسيح عليه السلام ، والغلو كثيراً ما يدعو إلى الحيد عن الصواب ، وكذلك كان حالهم إزاء ابن مريم ، فقد عدوه إلهاً ، ولكي يعللوا ذلك جاءوا بالتثليث الذي لا تقره كتبهم ، والذي تنفيه الأقوال المنسوبة إلى ابن مريم فيها ، وقد كان من جراء ذلك أن نسبوا إلى المسيح عليه السلام ما ليس فيه ، وألحقوا بالله ما لا يليق به من الصفات .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٦ .

(١) سورة النحل ، الآية : ١٢٥ .

وجاء القرآن الكريم فبراً ابن مريم من كل ذلك ، وَرَدَّ الْحَقَّ
إلى نصابه ، وأظهر حقيقة عيسى عليه السلام ، وأثبت عصمته ، وأبرأ
ساحته ، وأخرجه خالصاً من الشوائب ، بريئاً من التهم والعيوب .
وقد كان غرضنا من تأليف هذا الكتاب ، تنزيه الله تعالى
واجد الوجود من كل نقص وإثبات حقيقة المسيح عليه السلام التي أتى
بها القرآن الكريم وذلك من عين كتبهم ، ومن نفس شهادات
المسيح ابن مريم عليهما السلام فيها .

القاهرة : شوال ١٣٥٥ هـ .

الكتور محمد وصفي

المبّحث الأول لمسيح في العهد الجديد

تمهيد :

تقسيم العهد الجديد إلى ثلاثة أجزاء :

لاشك في كَوْنِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ مَنْ هُوَ الْمَسِيحُ الَّذِي يَحْكِي عَنْهُ الْمَسِيحِيُّونَ التَّجَاً بِطَبِيعَةِ الْحَالِ إِلَى كِتَابِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ يَسْتَطِيعُ أَصْحَابُهَا وَيَسْتَنْبِئُ رِسَائِلَهَا ، وَكِتَابِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ سَفَرًا نَسْتَطِيعُ تَقْسِيمَهَا إِلَى ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ :

الجزء الأول : والجزء الأول أربعة كتب أو مؤلفات يطلق على كل منها لفظ (إنجيل) ويضاف إلى هذا اللفظ اسم مَنْ يُظَنُّ أَنَّهُ كَتَبَهُ رَوَايَةً عَنِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَذَلِكَ فِي التَّرَاجِمِ الْعَرَبِيَّةِ ، فَتَسْمَى (إنجيل متى) ، (إنجيل مرقس) ، (إنجيل لوقا) ، (إنجيل يوحنا) وَيُطْلَقُ عَلَيْهَا فِي اللُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ أَسْمَاءٌ مِنْ تَنْسَبُ إِلَيْهِمُ الْمَوْلاَفَاتُ مَجْرَدَةٌ عَنِ لَفْظِ (إنجيل) فَتَسْمَى (متى) ، (مرقس) ، (لوقا) ، (يوحنا) وَأَمَّا بِالْتَّرَكِيَّةِ فَعَنْوَانُ كِتَابِ لَوْقَا مَثَلًا (إنجيل .. لوقاتك تحريري أوزره) أَيْ (الإنجيل الشريف على ما كتبه لوقا) ، وَهَكَذَا .. وَيَلْقَبُ كُلُّ مِنَ الْمَوْلاَفِينَ الْأَرْبَعَةِ بِعَنْوَانِ (مبشر) وَأَمَّا فِي النُّسخِ السَّرْيَانِيَّةِ وَهِيَ الْأَكْثَرُ اعْتِبَارًا عِنْدَ الْمَسِيحِيِّينَ ، فَقَدْ وَضِعَ اسْمُ (كاروزوتا) أَيْ (موعظة) مَكَانَ لَفْظِ (إنجيل) ، وَتَسْمَى هَكَذَا (موعظة متى) ، (موعظة مرقس) .. إِخ . وَفِي هَذِهِ الْكُتُبِ الْأَرْبَعَةِ ذَكَرَتْ الْأَحْوَالُ وَالْأَقْوَالُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَى الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

الجزء الثاني : والجزء الثاني عبارة عن رسائل ومكتوبات عامة تسمى الأولى منها (أعمال الرسل) والثانية رسالة لبولس إلى أهل (رومية) ورسالتان له إلى أهل (كورنثيوس) وخامسة إلى أهل (غلاطية) ، وسادسة إلى أهل (أفسس) ، وسابعة إلى أهل (فيلبى) وثامنة إلى أهل (كولوسى) ،

ورسالتان إلى أهل (تسالونيكى) وأخريان إلى (ثيموثاوس) والثالثة عشر إلى (تيطس) ، والرابعة عشرة إلى (فيلمون) ، والخامسة عشرة رسالة إلى (العبرانيين) غير معلوم كاتبها ، وقد تنسب إلى (بولس) كذلك ، والرسالة السادسة عشرة (ليعقوب) ، ورسالتان (لبطرس) ، وثلاث رسائل (ليوحنا) والثانية والعشرون (ليهوذا)^(١).

الجزء الثالث: وأما الجزء الثالث فعبارة عن رؤيا منامية رآها يوحنا وتُسمى في العهد الجديد « رؤيا يوحنا اللاهوتي »^(٢).

القسم الأول من المبحث الأول المسيح فى الأناجيل الأربعة

فى هذا القسم سنبين ما تقوله الأناجيل الأربعة عن نسب المسيح عليه السلام وما تحكيه عن حياته الأولى ، وكيفية مقابله ليحيى بن زكريا عليهما السلام وما تقوله عن تلاميذه ومعجزاته ورسالته ، وعلاقتها بالناموس الإسرائيلى ، وسنشرح ماروته من تعاليمه إلى أن طلبته اليهود للتمثيل به وصلبه :

نسبه

يتدى متى إنجيله ببيان نسب المسيح عليه السلام ، وإنك إذا ما وقفت قليلا بجانب هذا البيان أخذتُك الدهشة من الاختلاف الغريب بين مارواه

(١) كل هذه الرسائل مقدسة عن (الأرثوذكس) و(الكاثوليك) وتقول كنائسهم إنها موحى بها ومترلة من عند الله ولكن (البروتستانت) ينكرون منها رسالة (يعقوب) ورسالة (بطرس) الثانية ورسالتى (يوحنا) الثانية والثالثة ورسالة (يهوذا) ولهم فى ذلك حجج وبراهين .

(٢) هذه الرؤيا ينكرها البروتستانت كذلك وإنكارهم لها ولغيرها يجعلهم أمام المؤمنين بها محرومين من دخول الجنة خارجين عن المسيحية (رؤيا ٢٢ : ١٨ ، ١٩) وهو بعض ما دعا الكاثوليك إلى محاربتهم وتمزيقهم وإهراق دمائهم مما ذكرته كتب التاريخ ولا يكاد يجهل أحد حادثة (برتملى سنتهير) التى قتل فيها الكاثوليك البروتستانت على غرة منهم ولم يكتفوا بسفك دماء الرجال بل لقد ذبحوا النساء والأطفال بحجة خروجهم عن دين حكومة روما وإنكارهم سلطة البابا .

هذا وبين ماسرّده (لوقا) فى إنجيله (لوقا ٣) وأشدُّ غرابةً من ذلك نسبةُ المسيح فى الإنجيلين إلى (يوسف) النجار الذى يذكر متى أنه زَوْجُ مريم البتول (متى ١ : ١٩ ، ٢٤) وذلك مما يحتج به اليهود فى دعواهم بعدم حَمْلِ أم عيسى بغير ذَكَرٍ .

يذكر متى أن يوسف النجار هو ابن (يعقوب) ويخالفه لوقا فى ذلك فيقول بل هو ابن (هالى) ثم يذكر الأول أن عيسى من ولد (سليمان) ابن داود .. والثانى يقول : إنه من ولد (ناثان) ابن داود .. ويقول (البروتستانت) بمناسبة ذلك : إن من أخرج سليمان من نسب المسيح فقد أخرج المسيح عن كونه مسيحاً ويذكر متى أن جميع آباء المسيح كانوا سلاطين مشهورين .. ويقول لوقا : « إنه لم يكن منهم مشهور غير ناثان وداود » . ويقول الأول إن رَزْبَابِلَ ولد (أبيهود) والثانى يقول : إنه ولد (ريسا) والاثنان يخالفان التوراة فى ذلك حيث بينت أنه ليس لرزبابل من الأولاد من يسمّى أبيهود أوريسا (أيام ٣) ثم يقول الأول إن بين المسيح وداود ثمانية وعشرين جيلاً .. ويقول الثانى : إن بينهما واحداً وأربعين جيلاً .

وَذَكَرُ (ألياقيم) جَدًّا لعيسى يعارضُ التوراةَ التى يقدسها المسيحيون كذلك معارضةً شديدةً فى قولها إن الرب قال عن ألياقيم ملك يهوذا إنه « لا يكون له جالس على كرسى داود وتكون جثته مطروحة للحر نهاراً وللبرد ليلاً وأعاقبه وَنَسَلُهُ وَعبيدُهُ على إثمهم وَأَجْلِبُ عليهم وعلى سكان أورشليم وعلى رجال يهوذا كل الشر الذى كلمتهم عنه ولم يسمعوا » (إرميا ٣٦ : ٣٠ ، ٣١) .

ويقول متى إن « داود هو بن يَسَّى بن عوبيد بن بوعز بن سَلْمون بن نحشون بن عَمِيناداب بن أرام بن حصرون بن فارص » ابن الزنا وفارص هذا الذى ذكر متى أنه جد للمسيح ابن زنا وذلك أنه جاء من طريق هتك أبيه (يهوذا) عرض امرأة ابنه (ثامار) كما هو مفصل كل التفصيل فى سفر التكوين (٣٨ : ٦ - ٣٠) مما يجعل فارص وذريته المبينة آنفاً إلى داود عليه السلام خارجين عن جماعة الرب مطرودين من رحمته وذلك بحسب

ما جاء في سفر التثنية (٢٣ : ٢) « لا يدخل ابن زنا في جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد في جماعة الرب » .

حياته الأولى

يذكر متى أن المسيح وُلِدَ في (بيت لحم) أيام حكم الملك (هيرودس) وحين طلب الأخير قَتْلَهُ أخذ يوسف النجار امرأته مريم أم المسيح وابنها معها وهرب بهما إلى (مصر) ولبثوا هناك مدة حكم هيرودس حتى إذا مات الأخير رجعوا إلى مدينة (ناصرة) ولكن لوقا يروى لنا ما يخالف ذلك كل المخالفة فيقول إن أبوي المسيح ذهبا بعد نفاس (مريم) إلى (أورشليم) وبعد تقديم الذبيحة حسب الشريعة الموسوية ذهبوا إلى ناصرة وأقاموا فيها وكانوا يذهبون منها إلى أورشليم في أيام العيد من كل سنة وأقام المسيح في السنة الثانية عشرة ثلاثة أيام في أورشليم بدون علم أبويه ولم يسافر أو يسافروا إلى مصر كما ذهب إلى ذلك متى (لوقا ٢) .

والأنجيل الثلاثة تذكر أن المسيح مارس النبوة سنة واحدة ذهب في نهايتها إلى أورشليم بمناسبة عيد الفصح حيث ائتمر اليهود عليه ولكن يوحنا يذكر أن المسيح قضى ثلاثة أعياد فصح في مدة نبوته .

تَعْرِفُهُ بِيَحْيَى

وأما عن مقابلة المسيح ليوحنا المعمدان (يحيى) فقد جاء في آخر الأصحاح الثالث من إنجيل متى أن « يسوع جاء من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه ولكن يوحنا منعه قائلاً : أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إلي فأجاب يسوع وقال له : اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كلُّ بَرٍّ ، حينئذ سمح له فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السموات قد انفتحت فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً إليه » وتستطيع أن تفهم من ذلك أن يحيى عرف المسيح بمجرد مقابلته له وطلب التعمد منه ولكننا نرى يوحنا في إنجيله يذكر أن يحيى لم يعرف المسيح إلا بعد نزول الروح (يوحنا ١) ثم إننا إذا وصلنا إلى الأصحاح الحادي عشر من

إنجيل متى عينه وجدنا يحيى لا يزال يجهل المسيح حتى بعد نزول الروح إذ أنه « أرسل اثنين من تلاميذه وقال له أنت هو الآتى أم ننتظر آخر » .

وإنجيل يوحنا يذكر لنا أن يحيى لم يعرف أنه هو (إيليا) المبشر به فى التوراة أى أنه لم يكن يعرف نفسه وذلك أن كهنة أورشليم سألوه مستفسرين أهو إيليا فأجابهم قائلاً « لست أنا » (يوحنا ١ : ٢١) وإنما إذا اعتبرنا أن يحيى ليس هو إيليا بدليل اعترافه فكيف نقول فى قول المسيح إن يحيى « هو إيليا المزمع أن يأتى » (متى ١١ : ١٤) .

وبمناسبة ذلك نذكر تناقضاً غريباً فى شأن يوحنا حيث يؤخذ من إنجيل مرقص (١ : ٦) أنه كان « يأكل جراداً وعسلأً برياً » ويؤخذ من متى (١١ : ١٨) أنه كان « لا يأكل ولا يشرب » .

تلاميذه

وجدير بنا هنا قبل أن نبين ماجاء به المسيح أن نذكر تلاميذه الاثني عشر الذين ساعدوه وكانوا مصاحبين له وهم بحسب رواية متى فى الأصحاح العاشر « بطرس ، أندراوس أخوه ، يعقوب بن زبدي ، يوحنا أخوه ، فيلبس ، برثولماوس ، توما ، متى العشار ، يعقوب بن حلفى ، لباوس الملقب تداوس ، سمعان القانونى ، يهوذا الإسخريوطى » وأما عن الحوارى العاشر فقد سماه بطرس (تداوس) وأنكره لوقا وذكر بدلاً منه آخر يسمى « يهوذا أخو يعقوب » (لوقا ٦ : ١٦) .

وأما عن كيفية معرفته ومقابلته للحوارين فلاضرب من ذلك مثلاً : فقد جاء فى متى (٤ : ١٨ - ٢٣) « وإذ كان يسوع ماشياً عند بحر الجليل أبصر أخوين سمعان الذى يقال له بطرس وأندراوس أخاه يلقيان شبكة فى البحر فإنهما كانا صيادين فقال لهما : هلم ورائى فأجعلكما صيادى الناس فللوقت تركا الشباك وتبعاه ثم اجتاز من هناك فرأى أخوين آخرين يعقوب ابن زبدي ويوحنا أخاه فى السفينة مع زبدي أبيهما يصلحان شباكهما فدعاهما فللوقت تركا السفينة وأباهما وتبعاه » وأما إنجيل يوحنا (١ : ٣٥ - ٤٦) فلم يذكر أمر الشبكة بل قال : إن إندراوس وآخر تبعاه حسب إرشاد يحيى قرب عبر الأردن ثم تبعه سمعان بإرشاد إندراوس وفى

الغد أراد يسوع أن يخرج إلى الجليل فوجد فيلبس فقال له : اتبعنى ، ثم أن فيلبس وجد ثنائيل فأرشده إلى المسيح ولم يأت يوحنا بشيء عن يعقوب ألبته .

معجزاته

إن أول المعجزات التي ذكرها متى (٨ : ٢) هي : شفاء المسيح رجلاً أبرصاً وقد بين أن ذلك كان بعد وَعْظِ الجليل ولكن لوقا (٥ : ١٢) في إنجيله ذكر هذه الحادثة مبيناً أنها كانت قبل وعظ الجليل مخالفاً في ذلك رواية متى وقد ذكر هذا كذلك حادثة إبراء المسيح للمفلوج غلام صاحب المائة (متى ٨ : ٥) ثم إبرائه لحماة بطرس المصابة بالجمي (متى ٨ : ١٤) ولكن لوقا (٧ : ٣٨) ذكر حادثة حماة بطرس قبل حادثة الأبرص قبل وعظ الجليل ، ثم ذكر حادثة غلام صاحب المائة بعد هذا الوعظ (لوقا ٧ : ٢) .

وذكر متى (٨ : ٢٣) بعد ذلك معجزة نجاة السفينة ولكن مرقص (٤ : ٣٧) جعل هذه المعجزات بعد الوعظ الذي ذكره متى في الأصحاح الثالث عشر .

وبعد ذلك ذكر متى (٨ : ٢٨) أن المسيح أخرج شياطين كثيرة من مجنونين لقياهُ لما جاء إلى العبرِ إلى كورة الجرجسيين وذهب مرقص (٥) ، لوقا (٨) إلى كونهما مجنوناً واحداً أخرج المسيح منه شياطين كثيرة عند كورة الجدرين فسلطها على قطع من الخنازير فاضطرته إلى بحيرة حيث غرق فمات اختناقاً .

وذكر متى (٩ : ٢) حادثة شفاء المفلوج ولم يذكرها الآخرون ثم ذكر حادثة أخرى وتلخص في كون رئيساً دعا المسيح لابنته قائلاً له إن ابنتي ماتت (متى ٩ : ١٨) فذهب ولما رآها قال لهم تَنَحَّوْا فَإِنَّ الصبية لم تمت ولكنها نائمة : مما يُشْعِرُ بعدم حدوث معجزة الأحياء هنا .. وذكر مرقص أن الرئيس قال له : إن ابنتي الصغيرة على آخر نسمة (مرقص ٥ : ٢٣) ولوقا يخالفهما في الرواية في أصحاحه الثامن .

ثم ذكر متى حادثة أعميين وإنسان أخرس مجنون شفاهم المسيح ولم
يشر الآخرون إلى ذلك ولم يبيناه بل ذكر مرقص (٦ : ٥) أن المسيح
في ذلك الوقت لم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة .

ثم ذكر متى شفاهه لدى اليد اليابسة ثم شفاهه لجموع كثيرة ثم شفاهه
لمجنون أعمى وأخرس وكذلك بعض المرضى ولم يذكر كل ذلك
الآخرون ، وكذلك الحال بالنسبة إلى معجزة وضعه البركة في خمسة أرغفة
وسمكتين ، وسيره على الماء ، وشفائه لمن لمسوا ثوبه (متى ١٤) .

وفي الأصحاح الخامس عشر ذكر متى أن امرأة كنعانية طلبت منه أن
يشفي لها ابنها ولكن مرقص (٧ : ٢٦) بين أن المرأة كانت أعمية وفي
جنسها فينيقية سورية ثم قال متى (١٥ : ٣) « فجاء إليه جموع كثيرة
معهم عُرْجٌ وَعُمَمٌ وَخُرْسٌ وَشُلٌّ وآخرون كثيرون وطرحوهم عند قَدَمَيَّ
يسوع فشفاهم » ولكن لوقا (٧ : ٣١) ذكر أن المسيح لم يشف وقتئذ
غير رجل كان أصمَّ وأَقْعَدَ .

وقال متى : (٢٠ : ٢٩) « وفيما هم خارجون من أريحا وإذا أعميان
جالسان على الطريق فشفاهما » ويقول مرقص : (١٠ : ٤٦) « إنه لم يكن
هناك غير أعمى واحد هو (بارثيماوس بن تيمائوس) » وذكر متى
(٢١ : ١٨) معجزة لعيسى عليه السلام وهي دعاؤه على شجرة تين فيبيت
في الحال . ويبين أن ذلك كان في ثاني يوم لركوبه على الجحش والأتان ولكن
مرقص (١١) ذكر أن ذلك كان في اليوم الثالث ولمناسبة ذكر الجحش
والأتان نذكر أن متى قال : إن المسيح بعث تلميذين من تلاميذه ليأتياه بجحش
وأتان قال « وأتيا بالأتان والجحش ووضعوا عليهما ثيابهما فجلس عليهما »
(متى ٢١ : ٦) ، وليس من المعقول بداهة أن يجلس المسيح عليهما جميعاً
في وقت واحد .. وأما مرقص (١١ : ٧) فيقول « فأتيا بالجحش إلى يسوع
وألقيا عليه ثيابهما فجلس عليه » مبينا أنه لم يكن هناك إلا جحش واحد جلس
المسيح عليه ومع ذلك يخالفهما يوحنا (١٢ : ١٤) كل المخالفة فيقول إن
المسيح لم يطلب من أحد أن يأتيه بجحش أو جحش وأتان بل « وجد المسيح
جحشاً فجلس عليه » .

هذه هي المعجزات التي ذكرها متى ، وإنك لترى كيف يختلف الآخرون في رواية كل واحدة منها ، بل لقد رَوَتْ الأناجيلُ الأخرى معجزاتٍ لم يذكرها متى مطلقاً وذلك كإحياء المسيح لميت محمول على النعش عند مدينة (نايين) (لوقا ٧ : ١١) وكإحياء المسيح (لألغازار) (يوحنا ١١) ، بل لقد بالغ يوحنا في آخر إنجيله مبالغة خيالية غريبة في معجزات المسيح فقال « وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كُتِبَتْ واحدةً واحدةً فلستُ أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة » (يوحنا ٢١ : ٢٥) ، مع كوني ذكرتُ هنا جميع هذه المعجزات في بضعة أسطر قليلة وأما كَوْنُ المعجزات إذا كُتِبَتْ في كُتُبٍ ، فهذه الكتب لا يسعها العالم فأمر غاية في الغرابة . ولو قال إن الكتب التي تحوى المعجزات لا يسعها القطر المصري مثلاً لكان الأمر أهون في الغرابة وأقل في المبالغة .

وبالرغم من ذكر هذه المعجزات فإن هنالك شواهد في الإنجيل تثبت عدم حصول أية معجزة للمسيح ومثل ذلك قول متى (١٢ : ٣٨) حكايةً عن المسيح : « حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يا معلم نريد أن نرى منك آية فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي » وذكر كذلك قول المسيح لهم « جيل شرير فاسق يلتمس آية ولا تعطى له إلا آية يونان النبي ثم تركهم ومضى » (متى ١٦) ، مما يدل على أن المسيح لم يُعْطِ آيةً للجيل الذي كان عائشاً موجوداً فيه . وأما عن مسألة آية يونان النبي فستكلم عنها إن شاء الله عند الكلام عن رواية الصلب لأنها لم تحصل أيضاً .

علاقته باليهود

إن الأناجيل الأربعة كلها تعترف اعترافاً صريحاً بكَوْنِ المسيح عليه السلام نشأ يهودياً وأنه لم يأت بتشريع جديد خاص به بل كان يدعو اليهود وأتباعه منهم أن يحرصوا على التوراة وأن يعملوا بحسب أوامرها وتُبَيِّنُ أن المسيح طوّل إقامته ومُدَّةَ دعوته كان آخذاً على عاتقه شرحَ الناموس الإسرائيلي وبيان روح التشريع الموسوى ، وثُرِينا كيف كان المسيح دائم التوبيخ لرؤساء اليهود شاتماً إياهم لعدم عملهم بأصول التشريع ومخالفتهم